شيء للوطن

ملك لم يمت !!

عبدالرحمن بن عبدالعزيز آل الشيخ

■ عندما أدخل الملك فهد بن عبدالعزيز رحمه الله وأسكنه فسيح جناته مستشفى الملك فيصل التخصصي قبل عدة أسابيع بسبب الظرف الصحي الذي تعرض له .. حينها كان شعور المرء تجاه هذا الحدث شعور المؤمن بقضاء الله وقدره وأن ما سيكتبه الله هو أمر أصبح ينتظر الجميع في أي لحظة وهو شأن كل مخلوق في هذه الحياة .. وخلال وجوده رحمه الله في المستشفى خلال هذه الفترة كان شعور المرء شعوراً معروفا وطبيعياً يتجه تدريجيا نحو تخفيف الحدث الأكبر في حالة وقوعه في أي لحظة لا قدر الله.

ولكن عندما قضت إرادة المولى عز وجل وقبضت روحه الطاهرة صبيحة يوم الاثنين الماضي الموافق السادس والعشرين من هذا العام انقلب فجأة ذلك الشعور رأساً على عقب وكأن المرء أصبح يعيش مع حدث حل به فجأة بدون أي مقدمة ولم يكن يعي أنه حدث قد لامس أطرافه من قبل خلال أسابيع مضت !! نعم فمع إشراقة صباح ذلك اليوم اختلفت مشاعر المرء وتبدلت كلياً وعادت بصاحبها إلى حقيقتها واوقعها وكأنها تقول له ان ماسمعته لهو حدث عظيم حل بك أيها المواطن السعودي وأنك أمام مصاب جلل.

وخلال لحظات سماع ذلك الخبر الفاجعة الذي نقله التلفزيون السعودي في لحظة ما .. غرق المتلقي في بحر من الشرود الذهني الذي طغى عليه الصمت والحزن ووجد نفسه فجأة يتنقل بين المشاهد والصور التي تسارعت جميع القنوات الفضائية الإعلامية والعربية على تقديمها عن الراحل الكبير .. وأخذ المواطن السعودي من خلال هذه المشاهد يسترجع بذاكرته من خلال هذه المشاهد مسيرة هذا الملك العظيم .. ابتداء من المشهد الأول والأقدم - وهو مشهد باللون الأسود - الذي كان خلاله الملك فهد بن عبدالعزيز قبل أكثر من ثلاثة وخمسين عاماً يقف بين يدي المغفور له الملك سعود بن عبدالعزيز رحمه الله وكان الملك فهد يحمل بين يديه ورقة يقرأ من خلالها القسم كأحد الوزراء في أول تشكيل وزاري يشهده هذا الوطن الغالي .. ثم مروراً بالمشاهد الكثيرة التي تسطر مسيرة هذا القائد وهي مسيرة خدمة وطن وخدمة أمة طيلة هذه السنين الطويلة .. ومع تتالي هذه المشاهد فإن المرء تجبره مشاعره الحقيقية ووطنيته وولاؤه على ذرف دموع الحزن الصادق المعبر عن فقدان ملك بهذه المواصفات وبهذه الخدمة المميزة التي بذلها لمصلحة وطنه وأمته ولمصلحة دينه .. وهي خدمة يصعب أن يوفق احد في طرحها أو إيفائها حقها الكامل العادل كتابة أو مشاهدة أو عرضاً مهما كانت قدرة وبراعة كاتبها.

وعندما يجلس المرء مع نفسه وهو يتمعن بصدق في هذه المشاهد التي تسابقت على عرضها كل القنوات الإعلامية خلال الأيام الماضية منذ إعلان نبأ وفاة الملك فهد بن عبدالعزيز ويستمع ويشاهد ويقرأ هذه المسيرة العطرة الجبارة التي كان عليها هذا الملك تجعل المرء يتساءل بين نفسه وحتى مع أسرته لماذا يختلف القادة .. ولماذا يتميز الزعماء .. من زعيم إلى آخر .. ومن ملك إلى ملك وما هو السر الأكبر الذي يجعل شعباً وأمة تتعلق بحب قائد إلى هذه الدرجة التي كان عليها الملك فهد مع شعبه ومع أمته.

ان من حسن حظ شريحة كبيرة جدا من هذا المجتمع وخاصة اكثرممن تجاوزت أعمارهم الخامسة والعشرين سنة أنهم يحملون صفة (أجيال الفهد) فمنهم حاليا من هو في موقع المسؤولية ومنهم الموظف.. وهم جميعا ممن عايشوا حكم الملك فهد سواء في تعليمهم الجامعي أو في بداية مرحلة عملهم في الحياة في ظل حكم الفهد .. فهذه الفئة وهي جيل الفهد وهي من أكثر شرائح المجتمع تعلقا بحب الفهد وهو حب طبيعي فقد نمت تعليميا عاليا ومن ثم تفتحت أعينهم الوظيفية على حكم الفهد الذي قارب الأربعة والعشرين عاما . لذلك تشربت بنيتهم العقلية والعاطفية وترعرع نموهم الدراسي والتعليمي والوظيفي بشخصية الفهد هذه الشخصية القيادية التي لازمتهم طيلة هذه السنوات وكانت جزءا من حياتهم وتربيتهم الوظيفية..

ثلاثة وخمسون عاماً كانت مسيرة هذا الملك وزيراً ثم ولياً للعهد ثم ملكا... فكانت مسيرة عطاء وعمل وجهد وإنجاز وخدمة قل أن يوفيها الإعلام حقها الكامل صورة وكلمة وكتابة وهي مسيرة يعيش حقيقتها المواطن في وطنه في كل موقع وفي كل مجال .. وهي إنجازات تظل تحمل بين طياتها صورة واسم الملك فهد .. ملك وضع بصمته وسطر اسمه .. ونقش صورته على كل لبنة بناء تجسد على ارض هذا الوطن الغالي في شتى الاختصاصات وفي كل المناطق وفي كل القرى والهجر والمدن ..

ترى .. كم من أمواج من الدموع التي ذرفت في هذا الحزن الذي حل بهذا الوطن فجأة.. وكم مساحة هذا المصاب الجلل الذي جاء بغير موعد إلى هذا الوطن وشعبه ... حزن عاد بنا إلى مسيرة سنوات تجاوزت الخمسين عاماً حفلت بالعطاء .. وبالخير .. وبالرخاء .. سنوات حفلت بالأشياء والانجازات الجميلة في شتى التخصصات .. سنوات حفلت بالظروف المقلقة.. وبالمحن وبالمشاكل .. والمواقف الصعبة التي واجهت هذا الوطن داخلياً وخارجياً ... سياسياً وأمنياً واقتصادياً .. ولكن هذا الملك استطاع بتوفيق من الله وبإيمان القائد المسلم وبحنكة الرأي وبموهبة القيادة وبموروث الهيبة والزعامة .. استطاع أن يسير بهذا الوطن نحو شاطئ الأمان.. وبأعلى قدر من النجاح..فكانت مسيرة حافلة بالعطاء .. وبالنجاح .. حتى أصبحت هذه البلاد علماً بارزاً وعنواناً ناصعاً بين دول العالم قاطبة ..

دولة .. لها مكانة الريادة العالمية والرأي.. ولها سلطة السياسة .. ولها قدرة الاقتصاد .. ولها كنز ورصيد لا يقاس بحجم أو بثمن من محبة سكان الأرض على كافة أديانهم ومذاهبهم وطوائفهم .. رحمك الله أيها الفهد وأسكن روحك الطاهرة جنات الخلد .. نم قرير العين في قبرك في ظل رحمة من المولى القدير إن شاء الله .. نم هنيئاً في مثواك أيها الملك فقد خلفت من بعدك تركة من الحسنات وخلفت لك ارثاً من الانجازات ورصيداً لا يقدر من المحبة .. ومن الدعاء بالمغفرة وبالثواب الذي سيكون لك إن شاء الله شفيعاً عند العلي القدير .. وثق أن لك ذكرى وتاريخاً سيبقيان في قلوب كل أبناء شعب هذا الوطن حاضره ومستقبله.

وحفظ الله هذا الوطن وشعبه من بعدك في عهد خلفك خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز وسمو ولي عهده الأمين الأمير سلطان بن عبدالعزيز وسيكونان إن شاء الله خير خلف وخير أمان لهذا الوطن ولشعبه ومكتسباته ..فمن أفضالك أيها الراحل العظيم انك عهدت بالمسؤولية العظيمة من بعدك إلى ملك وولي عهد سيسيران على نهجك الذي رسمته وسيكملان مسيرتك الخالدة الوطنية والإسلامية.. وهذا الشعب السعودي شيوخا ورجالا ونساء وشبابا .. مدنيين وعسكريين ومهنيين بكافة فئاتهم قد بايعوا عبدالله ملكا وسلطان وليا للعهد .. وكانت مبايعة هي أعظم صورة من صور الانتخابات على سنة الله ورسوله .. وكان ذلك في مشهد لا يوجد له مثيل في أي دولة ولا في أي مجتمع .. فقد قدم الجميع صادق الولاء والطاعة والتأييد لخادم الحرمين الملك عبدالله وولي عهده .. فهما خير خلف من بعدك أيها الفقيد وهما رمز الوحدة الوطنية والاجتماعية وسيواصلان قيادة هذه البلاد الغالية نحو العالمية التي تتميز بها منذ أن وحدت على يد مؤسسها الملك الراحل عبدالعزيز غفر الله له ..

حفظك الله أيها الوطن الغالي الكبير في ظل رعاية وقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز وسمو ولي عهده الأمير سلطان بن عبدالعزيز وأدام عليك نعمة الاستقرار والرخاء والأمن ..

alshaikh@alriyadh.com

على قامة الريح

غياب رجل الملمات

فهد محمد السلمان

■ كانت الرياض حزينة ذلك المساء.. تماماً كما كل مدن وبلدات هذا الوطن من أقصاه إلى أقصاه.

لم يكن شارع العليا الشهير وسط العاصمة مساء اليوم الأول من أغسطس/اب نفس الشارع الذي يغص بالحركة بعد ان تتدفق فيه أرتال السيارات.. والمتسوقين المنفلتين من عقال حرّ النهار.. كان ثمة هدوء مشوب بحزن عميق يلف المكان.. في ما لا تخطئ العين رصد تلك المساحة المكتظة بالألم على كل تلك الوجوه القليلة التي خرجت في مثل هذا الوقت.. حتى من غير المواطنين.

كان كل شيء صامتاً ذلك المساء.. حتى فحيح عجلات السيارات الذي يتحوّل أحياناً إلى صرير مزعج على طبقة الاسفلت الناعم ويثير حفيظة رجال المرور.

لقد غاب الملك.. غاب الرجل الذي لا أحد يستطيع أن يزايد على منجزاته.. ليس على مستوى الوطن وحسب.. وإنما على مستوى الأمة وهو الذي ارتبط اسمه رحمه الله بعمارة المسجدين وبأكبر توسعة عرفها التاريخ.. مثلما ارتبط أيضاً بطباعة المصحف الشريف وخدمته والعناية به.. حتى لم يعد ثمة مسلم إلاّ ويدين له بهذا الفضل.

رحل رجل الملمات، وصاحب القرارات الأكثر شجاعة، والتي أثبتت الأيام بُعد نظر صاحبها حينما جنبت الوطن الكثير من المخاطر والويلات.. قبل أن تحرر شعباً شقيقاً تم اختطافه من قبل شقيقه الأكبر على حين غرة.

وغياب زعيم بمثل هذا الحجم.. كان لابد وأن يترك وراءه الكثير من المخاوف التي تحركت لها ارتفاع أسعار النفط العالمية.. قبل أن يكتشف العالم ومن خلال ذلك الانتقال الرائع للسلطة.. ان الفقيد الكبير والمؤسس الثاني قد أرسى مع كافة أركان قيادة هذا الوطن عملاً مؤسسياً ضخماً يستطيع أن يشكل الضمانة الحقيقية لاستمرار البناء الوحدوي جنباً إلى جنب مع معطيات التنمية المتتالية التي رعاها خادم الحرمين الملك الفقيد فهد بن عبدالعزيز يرحمه الله، وتعهدها بعنايته حتى أصبحت واقعاً وطنياً يتجسد في هذا الاحترام الدولي الكبير للمملكة، والذي تمثل بكل تلقائية في حجم الحضور المهيب لقادة ورؤساء العالم وحتى لأطياف سياسية ودينية وإعلامية بشكل غير مسبوق.

وإذا ما كانت سياسة الرشد والاتزان قد قدمت فقيد الأمة للعالم بمثل هذه الصورة التي أوجدت بين الناس مشاعر مختلطة.. هي مزيج من الفرح بهذا الحجم الكبير من الاحترام الدولي والشعور في نفس الوقت بألم غياب وفقد هذا الزعيم الخالد وحققت له ولوطنه كل هذه المكانة المتميزة على مختلف الأصعدة والمستويات.. فإن منجزاته على المستوى المحلي قد قدمته لأبنائه ومواطنيه على أنه الرجل الذي استطاع ان يؤسس الدولة الحديثة بمؤسساتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وأن يعيد صياغة الكثير من المشاريع الوطنية وفق استحقاقات المرحلة.. ليتحقق بالنتيجة لهذا الوطن كل هذا المنجز الحضاري الضخم، وهذه الموقعية الفريدة على المستوى الدولي.

غير ان غياب الراحل العظيم بكل ما تركه في نفوس أبنائه ومواطنيه من ألم الفقد.. لا يمكن ان يغيب ذكراه الخالدة التي سيجدها الناس في كل أركان هذا الوطن.. الذي سيظل يواصل ذات الخطى بقيادة رجل المبادرات الجريئة، وأبي الفقراء خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز، وسمو ولي عهده الأمين الأمير سلطان بن عبدالعزيز يحفظهما الله.. واللذين قدم لهما الوطن البيعة لإتمام مسيرة البناء والتنمية.

رحم الله رجل الملمات فهد بن عبدالعزيز، وأسكنه فسيح جناته.

العلاقات البحرينية السعودية في عهد الملك فهد

عبدالجليل زيد المرهون

إن المناخ المتين لهذه العلاقات لم يكن نتاجا صرفا للمعطى الجغرافي، بل إفرازا لمعطى بشري أولا وقبل كل شيء. وقد تجلى هذا المعطى في بعدين أساسيين هما النسق الكثيف من الروابط الاجتماعية والثقافية، والشعور المشترك بوحدة المصير والانتماء

■ سيذكر البحرينيون، كما سائر العرب، الملك فهد، رحمه الله، القائد الكبير الذي أعطى الكثير لأمته ودافع عن قضاياها المصيرية.

لقد استقبل البحرينيون بالحزن والأسى وفاة هذا القائد الفذ، مستعيدين صورة عهده الذي ازدهرت فيه علاقاتهم مع المملكة العربية السعودية الشقيقة.

إن العلاقات البحرينية السعودية يمكن النظر إليها باعتبارها نموذجاً متقدماً للعلاقات الثنائية، المستندة إلى إطار متين من القواسم المشتركة. ويمكن النظر إلى المعطيات الداخلية في كل من البحرين والسعودية باعتبارها الدافع الأهم باتجاه تشكيل هذه العلاقات. وتحديداً، يمكن القول إن هذا النسق المتين من العلاقات الثنائية ليس سوى نتاج تراكمي لعملية التفاعل بين القواسم المشتركة متعددة الأبعاد.

وإن الحديث عن دور المعطيات المحلية في صنع السياسة الخارجية يمتد إلى كامل البناء المادي والمعنوي للدولة. وإن السلوكية الخارجية للدول تجاه الأطراف الأخرى، أو تجاه القضايا الدولية، تختلف باختلاف الاتجاهات المحلية الفاعلة والموجهة لعملية صنع القرار الخارجي في مرحلة معينة. وحتى مع بقاء الأهداف الأساسية ثابتة، لاعتبارات مختلفة، فإن كيفية خدمة هذه الأهداف تعتمد بشكل رئيسي على الإدراك الحسي للاتجاه السائد داخل الدولة. ويحدد هذا الإدراك الحسي نسق القيم والمفاهيم التي تشكل الإطار المفهومي لكل اتجاه.

وثمة مقولة جوهرية في علم السياسة مفادها أنه لا يمكن أن يكون هناك حد معين دقيق يفصل بين النواحي الجغرافية البحتة للعلاقات بين الدول وبين النواحي الأخرى. وإذا نظرنا إلى العلاقات بين الدول على أنها محصورة فيما يشبه الغرف المحكمة، فإن معنى هذا أننا ننكر الدليل المتوافر للبشرية من الملاحظة والاستنتاج المتسمين بالإدراك. وفي الواقع فإن هذه العلاقات وما يصاحبها من معطيات، كغيرها من العلاقات البشرية، لها طابع مركب تمتزج فيه عوامل كثيرة لدرجة لا يمكن فصلها أو التعامل معها بنوع من الانتقائية.

وفي وقت مضى، كانت العلاقات الدولية محصورة في قطاع جغرافي محدود، وكانت قواعدها في كل منطقة معزولة عن الأخرى. بيد أن الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية قد فتحت عصر السياسة الخارجية العالمية، وأصبحت الدول قادرة على شن ردود فعل في جميع أرجاء العالم، سواء بفرض قوتها مباشرة، أو لأن الأفكار تنتقل في وقت متزامن تقريبا، أو لأن التنافس الأيديولوجي يعطي أهمية خاصة للمشاكل حتى الثانوية منها في المجال الجيوبوليتيكي.

والحقيقة التي لا اختلاف عليها هي أن الدولة الحديثة والمنظومة الدولية قد تطورتا تاريخيا في وقت متزامن، فمع بداية تشكل الدولة في أوروبا خلال القرن السادس عشر أخذ مفهوم السيادة يتأكد على أساس وطني، وبدأت تتشكل في الوقت نفسه العلاقات بين هذه الدول. أي بتعبير آخر بدأت المنظومة الدولية بالتشكل هي الأخرى. وهكذا قامت علاقات متبادلة باتجاه تعزيز كل من هذه المنظومة والكيانات السياسية المستقلة. كما أن المنظومة الدولية نفسها فرضت سمات الدولة الحديثة ومواصفاتها ومستلزماتها.

ماذا تعني هذه المقولات الثلاث للعلاقات البحرينية السعودية؟

إن المناخ المتين لهذه العلاقات لم يكن نتاجا صرفا للمعطى الجغرافي، بل إفرازا لمعطى بشري أولا وقبل كل شيء وقد تجلى هذا المعطى في بعدين أساسيين هما النسق الكثيف من الروابط الاجتماعية والثقافية، والشعور المشترك بوحدة المصير والانتماء.

إن العامل البشري هنا قد طوع معطيات الجغرافيا، أو لنقل قد استنفد هذه المعطيات باتجاهات دافعة للتعاون والعيش المشترك.ونحن نتحدث هنا عن الحاضر بقدر حديثنا عن التاريخ الذي كان فريدا هو الآخر في هذا النجاح، حيث عاش الأجداد مؤتلفين ومتعاضدين على امتداد الصحاري والسهوب. وكان نجاح الماضي مقدمة لنجاح الحاضر، أو لنقل استنفد الحاضر رصيدا تاريخيا فذا. وهذا ليس كلاما شاعريا، أو من وحي عواطف جياشة، بل إن القراءة الصحيحة لتاريخ العلاقات البحرينية السعودية لابد أن تقودنا إلى هذا الاستنتاج.

على صعيد آخر، يمكن القول إنه فيما يتعلق بهذه العلاقات، فان كل من معطى الجيوبوليتيك ومعطى العولمة قد ارتبطا بعلاقة طردية موجبة، على خلاف القاعدة السائدة. بمعنى أن عامل الربط الجغرافي الإقليمي قد أضحى أكثر فاعلية وتأثيرا بفعل تقنيات التواصل الحديث التي عززت من انسياب الأفكار والمفاهيم كما البشر أنفسهم، وهي هنا قد كثفت من تواصل العائلات والأسر، المتواصلة أصلا. وهذه المقولة تؤكد نفسها أيضا على الصعيد الرسمي العام.

على أن ما يجب التأكيد عليه بوجه مجمل أنه على الرغم من استمرارية الجيوبوليتيك كأداة أساسية في تحليل العلاقات الدولية فان دورها اليوم ليس كما كان عليه قبل عقدين من الزمن، بل هي في ثمانينات القرن العشرين أقل تأثيرا بما لا يقاس مما كانت عليه في الستينات والخمسينات من القرن نفسه. وهذه مسألة لا بد من أخذها في عين الاعتبار عند السعي لبلورة أية مقاربة مستقبلية بعيدة المدى للعلاقات البحرينية السعودية. إن معطيات العولمة ربما تتفوق على معطى الجيوبوليتيك أو هي قد تفرض مزيدا من التحديات عليه، ولهذا لابد من احتسابها كعامل متغير تتم دراسة وتتبع معدلات واتجاهات النمو فيه، وبما يمكن البلدين من ضبط إيقاعاته لمصلحة روابطهما المشتركة.

من جهة ثالثة، إن تطور منظومة العلاقات الدولية، بما عنى من تعدد للمؤسسات والأطر الأممية الطابع، ووجود كل من البحرين والسعودية في الكثير منها، قد عنى بالضرورة تطورا رأسيا في التفاعلات البحرينية السعودية.

على الصعيد الاستراتيجي العام، يمكن القول إنه إذا كان انتهاء الحرب الباردة قد مثل إيذانا بانتهاء المكانة الجيوبوليتيكية لعدد من الدول والمناطق الإقليمية في العالم، فإن مكانة البلدين في الجيوستراتيجيات الدولية بقيت ثابتة، هذا إن لم تكن قد ازدادت تطورا. بيد أن مضمون بيئة الخليج الاستراتيجية قد أضحى في الوقت نفسه أكثر حساسية في ضوء انهيار التوازن الاستراتيجي الإقليمي، فقد أضحينا جميعا معنيين بهذا المتغير التاريخي.وبالقدر الذي تزداد فيه روابطنا المشتركة متانة بالقدر الذي تزداد فيه قدرتنا على الاستجابة للتحولات الجارية من حولنا.

ومن نافل القول إن العلاقات الثنائية بين بلدين متجاورين، أو بين مجموعة بلدان متجاورة، لا بد أن تتأثر بالتطورات الجارية ضمن المحيط الجيوسياسي الأوسع.

وفي هذا السياق، ترمي الأوضاع في كل من العراق وإيران واليمن بإيحاءاتها على البيئة السياسية الخليجية، ضمن أنساق ومستويات متعددة. كما تعكس الخيارات الخارجية للدول الثلاث نفسها على هذه البيئة.

وفي التحليل الأخير، فإن الاستقرار الإقليمي لا يمكن تجزئته، كما أن تعزيز المسار التعاوني للمجموعات الإقليمية لا يمكن تحقيقه في ظل بيئة مضطربة.

وفي التجربة التاريخية يمكن أن نلحظ أن جهود تحقيق الاستقرار في أوربا قد اصطدمت لردح طويل من الزمن بالتوترات الفرنسية الألمانية. ففي القرن السابع عشر مثلت إنجلترا وهولندا أقوى دولتين في القارة، فهولندا التي كانت تدعى «الأقاليم المتحدة» تمكنت من السيطرة على التجارة البحرية وغدت القوة الاقتصادية الأولى في العالم، وذلك حتى العام ١٦٧٢. أما إنجلترا فقد أخذت تؤكد قوتها في مواجهة فرنسا وهولندا،حتى أضحت في نهايات ذلك القرن أعظم قوة بحرية. بيد أن الخطر الداخلي الأهم على أوروبا بقي متجسدا في التنافس الفرنسي الألماني، وهذا ما أثبتته مسيرة حروب متتالية توجت بالحربين العالميتين الأولى والثانية. ومن هنا، بدا من الضرورة بمكان أن يبدأ أي حديث عن وحدة أوروبا بالحديث عن العلاقات الفرنسية الألمانية.

إلى ماذا يقودنا ذلك ؟

يقودنا ذلك إلى القول إن استمرار المكونات التاريخية القلقة والمتوترة في البناء الإقليمي الخليجي، وخاصة تلك السائدة في علاقات العراق بكل من الكويت وإيران، والتي قادت إلى الحربين الخليجيتين الأولى والثانية، من شأنها أن تحول دون الوصول إلى بيئة إقليمية مستقرة، بل هي تحول دون ذلك بالضرورة.

وفي السياق ذاته، فإن الاستقرار الإقليمي لا يمكن تحقيقه في ظل خيارات دولية متضاربة ومتناقضة.

ومادام الأمر كذلك، فإن دول منطقة الخليج والجزيرة العربية معنية بالبحث عن آليات قادرة على إزالة الأنماط القلقة والمتوترة من المكونات التاريخية في البناء الإقليمي التاريخي، أو الحد منها. كما يفترض بهذه الآليات أن تكون ذات مصداقية على مستوى بلورة حد أدنى من التفاهمات والمبادئ الإرشادية المطوقة للتوترات المتأتية على خلفية تباين الخيار الدولي للأطراف الإقليمية أو لمجموعة منها.

إن أحدا لا يدعو للقفز على حقائق الجغرافيا والتاريخ، لكن لا يجوز في الوقت نفسه النظر إلى هذه الحقائق والمعطيات نظرة قدرية لا إرادة لبني البشر فيها.

إن ثلاث حروب جرت في هذه المنطقة ولا زالت واحدة منها مستمرة، بيد أن ذلك لم يدفع دولها حتى الآن للجلوس وجها لوجه وتدارس عوامل الصراع ومسبباته، فضلا عن الآليات الكفيلة بالحيلولة دون تكراره. وهذا أمر مثير للاستغراب بل هو محير إلى حد كبير. فتجارب التاريخ منذ معاهدة ويستفاليا التي أنهت الحروب المذهبية في أوروبا وحتى اليوم تعلمنا بأن الدول والمناطق التي تشهد حروبا تلجه، بمجرد أن تضع الحرب أوزارها، للبحث عن ترتيبات وقواعد خاصة بترسيخ الاستقرار. وهي قد لا تنجح في ذلك، كما حدث بالنسبة لمعاهدة فرساي بعد الحرب العالمية الأولى، لكنها تسعى على أي حال نحو ذلك.

وفي التجربة الإقليمية الخليجية، يمكن ملاحظة أنه بعد الحرب العراقية الإيرانية، كان يفترض أن يقود قرار وقف إطلاق النار - الذي أحاطه مجلس الأمن الدولي بمجموعة متواضعة من إجراءات تعزيز الثقة- إلى شيء من الاستقرار الإقليمي المعزز هيكليا، بيد أن النظام العراقي وضع مضمون القرار خلف ظهره بمجرد أن وضعت الحرب أوزارها، تماما كما فعل من قبل باتفاقية الجزائر.

وتاليا، أتت حرب الخليج الثانية لتعيد تشكيل تفاعلات النظام الإقليمي الخليجي دون أن تغير من مضمونها السالب، بل عمقت من هذا المضمون في الاتجاهات كافة.وبعد الحرب، لم يتحدث أحد عن ترتيبات إقليمية، ودفع انهيار التوازن الاستراتيجي في النظام الإقليمي باتجاه تضخم الهواجس الأمنية لدى دول المنطقة، كما غدا العراق معزولا ومقيدا هيكليا.

أما اليوم، فإن الوضع يبدو أكثر خطورة بما لا يقاس .قد يكون سقوط نظام الرئيس صدام حسين علامة فاصلة بمعايير السياسة والتاريخ، لكنه ليس كذلك بالمعايير الاستراتيجية ؛ ذلك أن العراق قد عزل استراتيجيا وحُيّدت قوته منذ حرب الخليج الثانية . والعراق الذي لا زال معزولاً استراتيجياً، أضحى بؤرة توتر تصب شررها في كل اتجاه. وبعد أن كنا نتحدث عن معضلة التوازن اقتربنا من الحديث عن معضلة الأمن ذاته.كذلك، فان الوضع في العراق مرشح في المدى المتوسط لأن يكون عامل تقاطب إقليمي جديد، يضاف إلى العوامل الأخرى التي لا زالت تحوم في سماء المنطقة.

وإن دول المنطقة مدعوة لوضع أسوأ السيناريوهات الخاصة بمستقبل الوضع العراقي والتعامل مع الأحداث على أساس ذلك.وهذه بالطبع ليست دعوة للتشاؤم بل دعوة للأخذ بالحيطة والحذر. إن السلطة المركزية في بغداد قد تتراخى قبضتها، وإن الخيار الفيدرالي قد يولد ميتا، بمعنى أن لا يكون سوى مقدمة لتجزئة العراق إلى كيانات عرقية ومذهبية.

وعلى دول المنطقة أن تسعى لأن تكون طرفا فاعلا في توجيه سفينة الأحداث في العراق، وعليها أن تعقد التفاهمات الضرورية بهذا الخصوص مع الولايات المتحدة والفرقاء العراقيين أنفسهم.

وإن العلاقات العراقية الخليجية القادمة يجب أن ترتكز بقوة إلى عبر الماضي ودروسه . والحذر من استسهال التحديات الهيكلية التي فرضتها على هذه العلاقات معطيات الجغرافيا والتاريخ وأخطاء البشر. وإن تحليل التاريخ وليس وضعه خلف ظهورنا هو ما يجب علينا القيام به .

إن دول المنطقة تمتلك من المقومات والقدرات وخبرة التاريخ ما يؤهلها للتحرك باتجاه بلورة أطر قادرة على خلق استقرار إقليمي معزز هيكليا،من شأنه أن يتيح للمنطقة فرص السير باتجاه التنمية الشاملة، ويحقق وعد شعوبها في الرفاه والازدهار.

marhoonz@hotmail.com

ملح وسكر

في وداع الملك فهد

شعاع الراشد

■ هل ترون كيف تتظاهر مشاعر الناس والوطن والعالم في الحزن الكبير على الإنسان الكبير؟

ألا يغمرنا ذلك الأسى وهيبة الفقيد - يرحمه الله - الحاضر في القلوب والمواقف والتاريخ يعبر مرحلته بتوقد مآثره وقياداته لصور التنمية والتحديات والأحلام في آن واحد؟

كيف لا تتظاهر المشاعر.. حتى وإن كانت ساكنة بفعل هيبة الموقف.. بدءاً من أجيال نمت طفولتها معه وأخرى كبرت مع إنجازاته وهي كلها تدرك كيف نهض بالتعليم حلماً وتبنى نشره.. كيف توحدت الأهداف في وجدان هذا الملك الذي أصر لدرجة الكفاح من أجل تحقيقها.. توازن التنمية مع الارتقاء بالإنسان.. تبنى قضاياه الحياتية ورسم خطط الإنماء والتوحد مع قضية نشر الإسلام المتفرد في قيمه النبيلة وتركيزه المشهود على توسعة الحرمين الشريفين لروعة معمارية وأمنية واضحة وصوت يحفز على ذكر الله من فرط هذا الاهتمام الروحاني.

كثيرة جداً هي بصمات الملك فهد في ذاكرة الوطن ووجدانه.. وكثيرة جداً هي مآثره على مستوى العالم وشعوبها التي جاءت ممثلة برموزها في تقديم واجب العزاء للوطن وللأسرة المالكة.

وفي تاريخنا القريب يذكره العالم والأشقاء أكثر لمواقفه الناصعة أثناء أزمة احتلال الكويت.. يذكرون شجاعته النادرة وإيمانه الراسخ بالله ويذكرون بطولته القيادية وإصراره على تبني الحق والدفاع عنه مهما كان الثمن..

أجيال تلي أجيال تعرف قدر هذا القائد.. مجتمع هائل المتطلبات وعلى كافة الأصعد وجد من يروض الصعاب من أجل تحقيقها وفرص تعليمية وعملية للمرأة السعودية رأت النور والتشجيع في مراحل قيادته للوطن رحمه الله.

وأطفال الأمس.. واليوم.. مراهقونا وشبابنا كلهم يقدمون لهذا المليك وقفة حب وولاء وانتماء تشاهد صوره على شاشات حاسبهم الآلي باختيار ذلك الحب الذي تحول إلى انتماء شعبي وإنساني غامر للملك فهد بن عبدالعزيز وهو يعبّر عن تظاهرة مشاعر لم يغيّبها موته.

تغمد الله فقيد الأمة بواسع رحمته وأعان خير خلف خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز وولي عهده الأمين الأمير سلطان بن عبدالعزيز على مواصلة المسيرة فليبارك الله خطواتهما دوماً إن شاء الله في سبيل عزة هذا الوطن وازدهاره.

الملك فهد والقرارات القيادية

يوسف القبلان

■ قاد الملك فهد المملكة العربية السعودية في مرحلة اتسمت بكثير من الأحداث الداخلية والخارجية التي كانت تتطلب اتخاذ قرارات صعبة.

إن المملكة بثقلها الديني، والسياسي، والاقتصادي على النطاق العربي والدولي كانت بحاجة إلى قائد طموح وذي نظرة ورؤية واضحة للمستقبل، كانت بحاجة إلى قائد يقودها إلى العصر الحديث، عبر مسارات التنمية المختلفة، كانت بحاجة إلى قائد يضعها في المكانة اللائقة.

وهكذا كان الملك فهد حاضراً في الوقت المناسب ليقود البلاد نحو المستقبل بطريقة متوازنة تجمع بين الأصالة والتحديث في مسيرة التنمية الشاملة التي قادها الملك فهد كان هناك قرارات استراتيجية مثل فتح المجال للشباب للدراسة خارج المملكة، وتلك القرارات المتعلقة بالتنظيم السياسي والاداري للدولة، مثل النظام الأساسي للحكم، ومجلس الشورى، ونظام المناطق. ومن أهم القرارات الاستراتيجية تلك القرارات المتعلقة بتنمية الموارد البشرية عبر دعم إنشاء معاهد التدريب، وانشاء صندوق تنمية الموارد البشرية، وفتح المزيد من الجامعات في كافة أنحاء المملكة، ودعم ميزانيات قطاع التعليم بكافة أنواعه ومستوياته، وفتح المجال لإنشاء الجامعات الأهلية.

وفي إطار تنمية الموارد البشرية كانت سياسة السعودة خطوة اقتصادية واجتماعية بالغة الأهمية أثمرت عن توظيف أعداد كبيرة من المواطنين المؤهلين في مؤسسات القطاع الخاص، وفي الأجهزة الحكومية ولاتزال هذه السياسة مستمرة وتنفذ وفق آليات جديدة لتحقيق أهدافها بفعالية أكبر.

وهناك قرارات استراتيجية أخرى ذات علاقة بالقضايا الاقتصادية والاجتماعية، والسياسية، يتطلب حصرها وتحليلها إعداد وتأليف كتب متخصصة وليس مقالات عابرة.

وهناك قرارات من نوع آخر وهي قرارات الأزمات التي تتطلب الشجاعة والسرعة، والثقة، وتوفر السمات القيادية، والرؤية الشمولية لمتخذ مثل هذه القرارات.

في هذا الإطار يبرز قرار تحرير الكويت من قوات صدام حسين أحد القرارات المفصلية في التاريخ الحديث وخاصة بالنسبة للمنطقة العربية والدعوة إلى اجتماع مجلس النواب اللبناني بالطائف لحل الأزمة اللبنانية، وإعلان وثيقة الطائف لحلّ تلك الأزمة برعاية الملك فهد وكانت قضية فلسطين في مقدمة أولوياته فهذه القضية كانت ولاتزال هي قضية السعودية الأولى عبر المراحل التاريخية المختلفة، فهي تحظى دائماً بالدعم السياسي، والمادي، والمعنوي بشهادة الفلسطينيين أنفسهم فهم دائماً يقدرون مواقف المملكة، وعندما يرسلون كلمات عتاب إلى الدول العربية فإن السعودية تستثنى من ذلك.

وفي إطار الاهتمام بقضية فلسطين كان قرار الملك فهد الشجاع بطرح مشروع شامل للسلام، ينتهي بإقامة دولة فلسطين المستقلة عاصمتها القدس الشرقية وحل مشكلة اللاجئين، من أجل إيجاد سلام دائم وعادل بين إسرائيل والعرب كانت مبادرة سلام، ولكن إسرائيل رفضتها.

إن القائد الحقيقي لا يجد الطريق أمامه مفروشاً بالورود فالمحك الحقيقي للقيادة هي القدرة على اتخاذ القرارات الصعبة، والشجاعة، والقدرة على قيادة الآخرين وفق رؤية واضحة، تمكنه من اجتياز العقبات والأزمات وحل المشكلات، وكان المسرح السياسي أمام الملك فهد ينتقل بأحداثه من أزمة إلى أخرى، حيث أزمة العراق وإيران، واحتلال العراق للكويت، ثم أزمة الإرهاب، وقبل ذلك وبعده أزمة فلسطين. لكن المملكة بقيادة الملك فهد لم تكن تقبل دور المتفرج بحكم ثقلها الديني والاقتصادي وموقعها الاستراتيجي، والدور الإنساني للمملكة الذي ينطلق من قناعة راسخة لدى القادة، وأفراد الشعب.

وعلى المسرح الداخلي كان المجتمع السعودي بحاجة إلى قرارات واصلاحات وكان الملك فهد صاحب شخصية تتسم بالحضور القيادي وبالقدرة على اتخاذ قرارات حكيمة تتسم بالشمولية والرؤية المستقبلية وخدمة المصالح والإصلاحات الوطنية.

yalgoblan@alriyadh.com